المحاضرة الثالثة: (آثار شرقية) د. حسان عبد الحق

آثار العصر الأكادي (2350-2159ق.م)

تعد الإمبراطورية الأكادية أقدم إمبراطورية عرفها التاريخ، تأسست على يد شروكين الأكادي، ضمت هذه المملكة كل بلاد الرافدين ومناطق من سورية وبعض الأقاليم المجاورة، اتسعت حدودها في عهد نارام سين حفيد شروكين وأصبحت على درجة عالية من القوة، تراجعت قوتها في عهد خليفته وكانت نهايتها على يد الغوتيين الذين هاجموها من جهة الشرق، ترك لنا الأكاديون آثاراً مختلفة وفي مجالات مختلفة:

أولاً-فن البناء: لم يعثر الباحثون على مدينة أكاد مما أدى إلى نقص كبير في المعلومات المتعلقة بتطور العمارة عند الأكاديين، لكن على الرغم من ذلك يمكن الحصول على معلومات تتعلق بهذا الفن بالاعتماد على بعض الأوابد التي شيدت خلال هذه الفترة.

و من أهم أبنية هذه الفترة قصر نارام سين في تل براك القريب من الخابور في سورية، وهو بناء ضخم مربع الشكل 100×100 م، يحيط به سور سماكته عشرة أمتار وله بوابة محصنة ببرجين في جهته الشرقية تقود إلى فناء رئيسي مربع الشكل، ويوجد أفنية أُخرى في الجزء الجنوبي، ويتوزع حول هذه الأفنية العديد من الغرف التي كانت تستخدم كمستودعات للحبوب حيث عثر على مستودعات للحبوب هناك. يتشابه مخطط هذا القصر إلى حد كبير مع القصر القديم في آشور خاصةً فيما يتعلق بشكله المربع وبحجمه الذي كان قريباً من حجم قصر نارام سين، يحاط هذا القصر كما في القصر السابق بسور وله مدخل في جهته الشمالية يفضي عبر دهليز إلى باحة مركزية أخرى أصغر، محاطة هي الأخرى بعدد من الغرف، وبمقارنة هذين القصرين مع القصر الأكادي في إشنونا_تل أسمر_ نلاحظ أن هناك اختلاف في المخطط، فقصر إشنونا لم يُبنَ وفق مخطط سابق، وما هو إلا بناء سكن أُضيفت إليه العديد من الملحقات في فترات لاحقة لبنائه.

ثانياً–النحت: مر فن النحت الأكادي بعدة مراحل:

1. **مرحلة شاروكين:** بدأ فن النحت الأكادي في الظهور في عصر شروكين، وخير مثال على منحوتات هذه الفترة مسلة النصر التي تتشابه مع فن النحت النافر في عهد سلالة أور الأولى، ويوجد على هذه المسلة صورة لشروكين مع كتابة أكادية، ونلاحظ أن هناك تشابه بينها وبين نصب الصقور، وما يدل على ذلك المشهد الذي يظهر أعداء مأسورين في شبكة ويقف شاروكين تحت مظلة شمسية كملك كبير على رأس مجموعة من المحاربين، والمحارب الذي يضرب الأسرى في الشبكة ليس إله كما في نصب الصقور أما هنا فيظهر شروكين هو الذي يضرب ويظهر أمام إلهة متوجة على الأغلب هي عشتار المحاربة، هذا يدل على دور الملك كمحارب بالدرجة الأولى
2. **مرحلة إنخيدو أنَّا–مانيشتوسو:** قدَّمت لنا هذه الفترة عدة منحوتات منها قرص إنخيدو أنّا المنحوت من الحجر الكلسي، يحمل على وجهه الأول كتابة نذرية، أما الوجه الثاني يتضمن مشهداً لتقدمة، في وسط المشهد تظهر إنخيدو أنَّا تتبعها وصيفتان أو خادمتان لتساعدانها على تقدمة أعطية أو سكب الماء المقدس، وتبدو أكبر منهما قليلاً وترتدي لباساً طويلاً وتضع على رأسها غطاءً ثقيلاً كان شائعاً في عصر سلالة أور الأولى.

   عُثِرَ أيضاً على العديد من التماثيل لمانيشتوسو واقفاً أو جالساً، وهي منحوتة من حجر الديوريت القاسي بالحجم الطبيعي، تظهر أقسام الجسم بشكل واضح، وهناك أيضاً أجزاء من مسلات محطمة يوجد عليها مشاهد حربية يظهر عليها جسم المحارب بشكل واضح.
3. **مرحلة نارام سين:** وصل فن النحت الأكادي إلى درجة من التطور في هذه المرحلة، ويعد نصب النصر لنارام سين من أهم الأعمال التي تنتمي إلى هذا العصر، أقامه نارام سين تخليداً لانتصاره على القبائل اللولوبية الجبلية، يبلغ طول النصب مترين أما العرض فيبلغ متر واحد، النصب عبارة عن مشهد واحد يتضمن الجبال والأشجار وفي قمته يظهر نارام سين الملك المؤله وهو مسلح بأسلحة مختلفة، وجسمه أكبر من جسم جنوده الذين

يتبعونه، وتظله من أعلى النصب نجوم ترمز إلى الإله شماش، كما يحمل النصب بقايا نص أكادي يتحدث عن النصر الذي حققه نارام سين على اللولوبي.

ومن خلال المقارنة بين هذا النصب ونصب الصقور يظهر أن ملك لاجاش كان خادماً للإله لينجرسو بينما يمثل نارام سين في نصب النصر الشخصية الرئيسية فهو الملك المؤله، وتظهر المقارنة أيضاً الاختلاف بين السومريين والأكاديين من حيث التسليح والثياب، فأسلحة السومريين ثقيلة بينما أسلحة الأكاديين خفيفة، وبالنسبة للثياب الأكاديون يرتدون تنانير قصيرة بعكس السومريين الذين يلبسون تنانير طويلة.

ومن المنحوتات الأخرى التي تنتمي إلى هذه الفترة كسرة من نحت نافر تحمل كتابة أكادية، يظهر نارام سين بلباسه الطويل ويحمل بيده سلاحاً ويعتمر قبعة مخروطية وتعابير الوجه واللحية واضحة وتظهر تشابهاً كبيراً مع الرأس البرونزي الذي عثر عليه في نينوى.

آثار عصر سلالة الإحياء السومري (سلالة لاجاش الثانية 2200–2100 ق.م وسلالة أور الثالثة 2112–2004 ق.م)

أسس القائد أورنامو سلالة حاكمة في مدينة أور، واستطاع أن يشمل بسلطته كل منطقة جنوب بلاد الرافدين، وبعد وفاته تعاقب أولاده وأحفاده على حكم هذه المنطقة وهم شولجي وأمارسين وشوسين وإبي سين ولقد تركت هذه السلالة الكثير من الآثار ومن أهمها:

أولاً–الزقورات: استخدم اللبن كمادة رئيسية في هذا العصر، وكان يشوى أحياناً لاستعماله في كسوة الأبنية من الخارج، أو لإنشاء قنوات تصريف المياه، وكان شكله مربعاً أو شبه مربع، وفي عصر السلالات الباكرة كان الناس يستخدمون الإنسان المسمار لتأسيس الأبنية.

وفي فترة جوديا ظهرت أشكال تأسيسية أُخرى: مثل إله راكع من البرونز يحمل بيده وتداً على شكل مسمار يضعه في الأرض، لكن في عهد أورنامو تم التخلي عن الإله الراكع لصالح الإنسان الحامل على رأسه سلة بناء.

ومن أهم الإنجازات المعمارية لهذا العصر هو الزقورة التي هي بناء مؤلف من عدة مصاطب ذو شكل مستطيل أو مربع، يبلغ من الارتفاع ما بين 20–30م يوجد في أعلاه معبد لإله المدينة الرئيسي.

بنى أورنامو العديد من الزقورات، لكن أهمها تلك التي بنيت في أور من أجل إنانا إله القمر، وأكمل بناء هذا الزقورة شوبجي ابن اورنامو، وكانت تتألف من ثلاثة مصاطب متوضعة فوق بعضها البعض وكسيت جدرانها بالطوب المشوي وتم تثبيته مع بعضه البعض بالقار ونقش على أعداد من الطوب اسم باني هذه الزقورة الملك أورنامو، يبلغ ارتفاع المصطبة الأولى نحو 15م تعلوها المصاطب الأقل حجماً، ثم مصطبة ثالثة أكثر صغراً بني فوقها معبد صغير لنانا، كما زودت هذه الزقورة بثلاثة أدراج في جهتها

الشمالية الشرقية، وكان الدرج الأوسط يقود إلى معبد الإله نانا أما الدرجان الجانبيان فكانا يقودان إلى المصطبة الثالثة.

بنى أورنامو زقورة أخرى في أوروك كانت أبسط من زقورة أور، ولم تكن جدرانها الخارجية مكسوة بالطوب المشوي كما هو الحال في زقورة أور بل باللبن المجفف تحت أشعة الشمس، وصل ارتفاعها إلى 14م وكان يوجد في قمتها معبد.

فن عمارة الزقورات هو تطور لفن بناء المعابد فالزقورة كانت تلعب هي الأُخرى دوراً دينياً، والدافع الرئيسي بناء هذه المباني الاقتراب من الآلهة التي تتخذ من السماوات مقراً لها.

ثانياً–القصور: تأثر فن عمارة القصور بهذا العصر بالتقاليد الأكادية، ومن أهم القصور التي بنيت قصر أورنامو وشوبجي في أور، نُقِشَ على بعض بلاطاته أسماء الملوك الذين شيدوه ويتشابه إلى حد كبير مع قصر آشور القديم والقصر الأكادي في تل براك، وتطابقه مع قصر تل براك كبير جداً فكلاهما محاط بسور خارجي وله شكل مربع تقريباً، ويحتوي على ساحة رئيسية ذات حجم كبير وساحات أُخرى أصغر محاطة بعدد من الحجرات ويمكن الدخول إلى القصر عبر بوابة محصنة.

ثالثاً–المقبرة الملكية: عثر في أور على قبور ملوك سلالة أور الثالثة من أورنامو وحتى أمارسين، وجدوا في جنوب شرق معبد نانا الكبير، تكون هذه المقبرة من ثلاثة أقسام بنى شوبجي القسم الأوسط الأكبر أما القسمان الجانبيان فقد شيدهما أمارسين، وتتميز القبور بحالتها العمرانية الجيدة بسبب استخدام الطوب المشوي والإسفلت في بنائها، تتألف القبور من قسم تحت الأرض لدفن الجثث وقسم فوق الأرض على شكل بيوت سكنية والذي كان مخصصاً لإقامة الصلوات والطقوس الجنائزية.

رابعاً–لنحت: يمكن التعرف على فن النحت السومري في هذه الفترة من خلال تماثيل جوديا التي تم العثور عليها في تللو، نُحِتت هذه التماثيل من الديوريت الذي كان يجلب من عُمان، وكانت توجد عليها كتابات تخلّد أعمال جوديا المختلفة في مجال البناء

والإعمار ، وكانت هذه التماثيل قريبة من الحجم الطبيعي وتظهر جوديا في وضعية الجلوس أو الوقوف وهو يضم يديه المعقودتين إلى صدره بهدف إظهار الورع والخشوع والتقوى، على الأغلب كانت توضع هذه التماثيل في المعابد لكسب رضى الآلهة، كما عُثِرَ على تماثيل أُخرى لابن جوديا والتي كانت تشبه تماثيل أبيه.

من خلال مقارنة فن النحت في هذا العصر مع فن النحت في العصر الأكادي نلاحظ أن هناك تشابه بين العصرين من ناحية التشكيل والأبعاد والمادة المستخدمة في النحت، ولكن هناك اختلافات كبيرة من حيث الموضوعات التي تم تناولها، ففي العصر الأكادي أظهر فن النحت الملك المؤله الذي كان يقود الجيوش من نصر إلى نص آخر، أما في هذه الفترة فقد أظهر من النحت الحاكم كشخص متعبد مصلي ورع وتقي ويقوم بأعمال البناء، وهذا يدل على وجود استقرار في هذه الفترة ساعد الحاكم على القيام بمشاريع مختلفة.

وبالنسبة لملوك سلالة أور الثالثة، تم العثور على تماثيل أو بعض قطع التماثيل، من أهمها تمثال لشوبجي، ويشبه فن نحت التماثيل هنا نظيره الذي ينتمي لفترة جوديا.

ينتمي إلى عصر الإحياء السومري بعض التماثيل النسائية أيضاً باستثناء الزي النسائي، لاتقدم هذه التماثيل جديداً في تاريخ الفن، ومن أهم هذه التماثيل تمثال صغير لامرأة في وضعية الوقوف تضم يديها المعقودتين إلى صدرها وتلبس عباءة وتحمل عقوداً في رقبتها وتضع غطاءً على رأسها.

وهناك منحوتات أخرى تعود إلى هذا العصر كالإناء النذري الذي يعود إلى عهد جوديا، يوجد على سطحه الخارجي نحت لمشاهد أُسطورية دينية تتضمن زوجان من الأفاعي الملتفة على نفسها يحيط بها كائنان أسطوريان مجنحان بالإضافة لرموز إلهية أُخرى، عُثِرَ أيضاً على قطعة من حوض كبير يعود أيضاً إلى عصور جوديا، ونُحِتَ على سطحه الخارجي آلهة مجنحة وكان يرمز هذا الإناء إلى الحياة.

خامساً–الأنصاب: استخدم أُمراء وملوك عصر الإحياء السومري الأنصاب لإظهار ورعهم وكانت توضع هذه الأنصاب في المعابد للتقرب من الآلهة.

ومن أشهر أنصاب هذه الفترة: نصب الملك أورنامو مؤسس سلالة أور الثالثة، الذي يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار وعرضه نحو متر ونصف.

يتضمن الوجه الأمامي للنصب _الذي كان يتألف من خمسة فصول_ مشاهداً تُظهر تقرب الملك من الآلهة ودوره في بناء المعابد وحفر الأقنية، أما الوجه الخلفي فقد نُقِشَ عليه بعض الكتابات، في الحقل الأول في أعلى النصب توجد بعض الرموز التي تشير للإلهة نانا، وتحتهما يظهر أورنامو واقفاً أمام نانا، أما في الحقل الثاني يُقدم الإله نانا عصا(رمز السلطة) لأورنامو، وفي الحقل الثالث يظهر أورنامو وهو يحمل بعض الأدوات التي تستخدم في عملية البناء، وبالنسبة للحقل الرابع لم يبقَ من مشهده إلا سُلّم والذي يرمز إلى البناء والإعمار، أما مشهد الحقل الخامس فمفقود نهائياً.

يوجد تشابه بين نصب أورنامو ونصب الصقور من حيث تقسيم الاثنين موضوعاتهم إلى حقول، لكن هناك اختلاف في الموضوعات فنصب الصقور يتناول موضوعاً حربياً بينما نصب أورنامو يتضمن مشاهد سلمية تدل على الاستقرار الذي ساد في هذه الفترة، معبراً عن روح العصر السلمي في جزءٍ باق لنصب يعود إلى جوديا، وحسب المشهد يقف جوديا بين إلهين اثنين ويحمل بيده اليمنى عصفاً ولباسه متواضع.

سادساً–الأختام الاسطوانية: عُثِرَ على العديد من الأختام الاسطوانية التي تعود إلى عصر الإحياء السومري وتناولت مواضيع متشابهة مع تلك التي تناولتها النصب.